لمسات تجديدية في كتاب الصناعتين

Touches innovative in the book of Al-SENAATEN

الدكتور

إيهاب مجيد محمود

كلية التربية للعلوم الإنسانية

الدكتور

سعيد عبد خضر

كلية التربية للعلوم الإنسانية

الظواهر المبتكرة عند أبو هلال العسكري في كتاب ألصناعتين :-

لـم تقف طريقة تناول العسكري للظواهر البلاغية على عملية الجمع والنقل والتنظيم لها ، بل امتدت إلى إضافة أقسام وتصنيفات جديدة إلى هذه الظواهر القديمة ، ومن هذه الإضافات التي ذكرها العسكري حديثه عن وظائف بعض الظواهر منها :-

الإشارة :-

قبل الحديث عن الإضافات التي أضافها العسكري لها يجب أن نتعرف دلالتها وأول من تحدث عنها ، فقد كان الجاحظ أول من تحدث عن دلالة الإشارة بقوله : (إن المعاني مستورة خفيه ، وبعيدة وحشية ، ومحجوبة مكنونة ، ... ، وإنما يُحيي تلك المعاني ذكرهم لها ، وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها . وهذه الخصال هي التي تقربها من الفهم ، وتجليها للعقل ، ... وعلى قدر وضوح الدلالة ، وصواب الإشارة وحسن الاختصار ودقه المدخل يكون إظهار المعنى ...)() .

ويصنف الجاحظ أنـواع الـدلالات على المعـاني إلى خمسة أشياء هي (اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال التي تسمى نصبة ، والنصبة هي الحال الدالة ، التي تقوم مقام تلك الأصناف)() .

وفي حديث الجـاحظ عـن أفضل من فسر البلاغة وهو ابن المقفع بقوله (اسم جامع لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة ، فمنها ما يكون في السكوت ، ومنها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون في الإشارة ، ومنها ما يكون في الاحتجاج ، ... ، والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة)() .

وهذا نص صريح في أن البلاغة تكون في الإشارة كما هي في الكلام ، وأن لم تكن تستقل بالدلالة فهي تكون عون للفظ في البيان ، وإذا غاب اللفظ لسبب ما برزت هي لتنوب عنه ، لأنها رديفته في تصوير المراد .

وعلى هذا فقد فصل الجاحظ هذا التفصيل وأعطى الإشارة حقها في عالم البيان وجعلها إحدى وسائله ، بل هي النائبة عن اللفظ والكاشفة عن مقداره والمؤكدة له ، والمعربة عن المعاني الخاصة إلا أن من جاء بعد الجاحظ لم يعطِها هذه الأهمية التي أعطاها الجاحظ لها فهذا قدامة بن جعفر (ت 327هـ) عندما تحدث عن ائتلاف اللفظ والمعنى وجعل من هذه الأنواع الإشارة إذ قال

عنها : (أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على معانٍ كثيرة بإيماء إليها ، أو لمحة تدل عليها ، كما قال بعضهم ، وقد وصف البلاغة فقال هي لمحة دالة)() .

نحو قول أمرئ القيس :-

فإن تهلك شنوءةُ أو تبدَّل فسيري إنَّ في غَسَّانّ خالاً

لعِزهمُ عَزَزْتَ وإن يّذلُّوا فذُلهمُ أنالك ما أنَــالاً()

فعلق على هذه الأبيات بقوله : (إن ألفاظه مع قصرها قد أشير بها إلى معان طوال ، فمن ذلك قوله (تهلك أو تبدل) ، ... ، ومنه ما تحته معان كثيرة وشرح وهو قوله (أنالك ما أنالا))() .

وهذا التعليق يدل على أن قدامة بن جعفر يبعد دور الإشارة الحقيقي هنا في تكوين المعنى ، وهذه الأبيات ليس فيها إشارة ، ولا ما يدل عليه من قريب ولا بعيد . إلا أنه في تعريفه لها كان يشير إلى أن الإشارة فيها أيماء ، ولمحه تدل عليها إلا أن الشواهد التي جاء بها لا تدل على ذلك .

ثم يأتي أبو هلال العسكري(ت 395هـ) ليعرف الإشارة بقوله : (هي أن يكون اللفظ القليل مُشاراً إلى معان كثيرة ، بإيماء إليها ولمحة تدل عليها)().

ثم يتحدث العسكري عن أحدى وظائف الإشارة اثــر نقــلــه لقـول البعض : (أتعيرني وأنا أنا ! والله لأزرن عليك الفضاء ، ولأبغضنك لذيذ الحياة ، ولأحَبَّبن إليك كريه الممات ، ما أظنك ترْبَعُ على ظَلْعك ، وتقيس شبرك بفترك ، حتى تذوق وبال أمرك ، فتعتذر حين لا تُقبل المعذرة ، وتستقبل حين لا تُقال العَثرة)(). إذ يرى العسكري أن تعبير (أنا أنا) فيه أشارة إلى معان كثيرة وتهديد شديد وأيعاد كثير() .

والعسكري في تصريحه بوظيفة الإشارة بأنها للتهديد ، و الإيعاد يكون قد سبق غيره من النقاد الذين تحدثوا عن الإشارة واقتصروا في الحديث عنها على القول بأنها تكشف عن معانٍ كثيرة دون محاولة الإبانة عن هذه المعاني .

وعند العودة إلى معجم المصطلحات البلاغية نجد أن الدكتور أحمد مطلوب ينقل تعريف الإشارة عند المتقدمين بقوله : (الإشارة هي الإيماء)() .

ثم نجده يذكر الإشارة عند النقاد القدامى ، فقد عدها الجاحظ من أصناف الدلالات على المعاني لكنه لا يريد بها المعنى البلاغي الذي ذكره قدامة بن جعفر في باب ائتلاف اللفظ والمعنى ، ثم يعود إلى ربط الجاحظ الإشارة بالوحي والحذف ، الذي ذهب إليه العسكري() .

وعند العودة إلى قول الدكتور أحمد مطلوب السابق (إن الجاحظ لا يريد بالإشارة المعنى البلاغي) لا أعلم كيف استنتج هذا القول ، والجاحظ واضح جدا في حديثه السابق عن أفضل من فسر البلاغة وهو ابن المقفع بقوله :(... ، ومنها ما يكون في الإشارة ، ...) ، وهذه دلالة واضحة جدا بان البلاغة تكون في الإشارة حسب ما ذكرنا سابقا .

إضافة العسكري وظائف للتأكيد في (التذييل ، والإيغال ، و تجاهل العارف ومزج الشك باليقين) :-

لقد تحدث العسكري عن التذييل وأهمية موقعه في الكلام ، لا بل عده الموضع الثاني من البلاغة لقول بعض البلغاء : (للبلاغة ثلاثة مواضع ، الإشارة ، والتذييل ، والمساوة)() فقد أضاف وظيفة أخرى له وهي التوكيد ، وذلك في حديثه عن التذييل ، إذ قال والتذييل هو : (إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه ، حتى يظهر لمن لم يفهمه ، و يتوكَّد عند من فهمه ، وهو ضد الإشارة والتعريض)() .

ثم يعرج على هذا التعريف بحديثه عن المواضع التي يحسن فيها استعمال التذييل فيؤكد وظيفته مرة أخرى في قوله : (وينبغي أن يستعمل التذييل في المواطن الجامعة ، والمواقف الحافلة ، لأن تلك المواطن تجمع البطيء الفهم ، والبعيد الذهن ، والثاقب القريحة ، والجيد الخاطر ، فإذا تكررت الألفاظ على المعنى الواحد تؤكد عند الذهن اللّقن ، وصح للكليل البليد)() .

نحو قوله تعالى :ُّ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ّ () ، ومعناه وهل يجازي بمثل هذا الجزاء إلا الكفور() .

وفي قول سليمان بن وهب لبعضهم : (بَلَغَني حُسْنُ محضرك ، فغيرُ بديع من فَضْلك ، ولا غَريبٍ عندي من بِرِّك ؛ بل قليل اتَّصل بكثير ، وصغير لحق بكبير ، حتى اجتمع في قلب قد وطِّن لموتك ، ...)() ، فقوله : (فغير بديع من فضلك ولا غريب عندي من برك) تذييل لقوله : (بل قليل اتصل بكثير ، وصغير لحق بكبير) فأكد ما تقدم() .

ونجد ان هذه الوظيفة تكررت عند من تلاه من النقاد من أمثال أبن أبي الإصبع والشهاب الحلبي() .

وتتكرر وظيفة التأكيد مضافاً إليها التوضيح والحسن عند الحديث عن الإيغال ، إذ يرى العسكري أن الإيغال هو : (أن تستوفي معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه ، ثم تأتي بالمقطع فتزيد معنى آخر يزيد به وضوحاً وشرحاً وتوكيداً وحسناً)() . نحو قول أمرئ القيس :-

كأنَّ عيونَ الوَحْش حول خِبائنا وأرحُلِنا الجزْع الذي لم يثقَّب()

قوله (لم يثقب) يزيد التشبيه توكيداً ، لأن عيون الوحش غير مثقبة() .

وقـد ذكــر بعض النقاد السابقين على العسكري الإيغال من أمثال قدامة بن جعفر ، الذي قصر وظيفة المعنى الزائد أو المضاف على التجويد ، وذلك إثر تعريفه له بقوله : (الإيغال هـو أن يأتـــي الشاعر بالمعنى فــي البيت تاماً من غير أن يكون للقافية فيما ذكره صنع ، ثم يأتي بها لحاجة الشعر ، في أن يكون شعراً إليها فيزيد بمعناها في تجويد ما ذكره في البيت)() .

وتتكـرر وظيفة التــأكيد عنــد الحــديث عن تجاهل العارف ، ومزج الشك باليقين ، إذ يعرفه بقوله : (هو إخراج ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيه ، ليزيد بذلك تأكيداً)() .

نحو قول ذي الرمة :-

أيا ظبية الوعْسَاء بين جُلَاجلٍ وبين النّقا أأنتِ أم أمُّ سالم()

وينسب إلى أبن المعتز أنه من أوائل من أشاروا إلى هذا المصطلح() ، إذ عده من محاسن الكلام ، ولكنه اقتصر في ذكره له على الاستدلال عليه بالشواهد الشعرية ، أما العسكري فقدم مفهوماً لظاهرة تجاهل العارف ، كما نص في هذا المفهوم على وظيفة الظاهرة.

وقد أضاف العسكري بعض الوظائف إلى الظواهر البلاغية القديمة إذ أضاف بعض الأقسام الجديدة لهذه الظواهر منها الوجه الرابع من رد الأعجاز على الصدور.

إذ رأى أنه ينقسم إلى أربعة أقسام :-

منها ما يوافق آخر كلمة في البيت آخر كلمة في النصف الأول. ومنها ما يوافق أول كلمة آخر كلمة في النصف الأخير. ومنه ما يكون في حشو الكلام في فاصلته ، أما القسم الذي أضافه فهو ما يقع في حشو النصفين() .

وعند البحث عن هذه القضية عند من سبقوا العسكري لا نجدهم يذكرون هذه القضية ، فأبن المعتز أطلق على هذه الظاهرة رد أعجاز الكلام على ما تقدمها ، وجعله على ثلاثة أقسام هي : (ما يوافق آخر كلمة فيه آخر كلمة في نصفه الأول ، وما يوافق آخر كلمة منه أول كلمة في نصفه الأول ، وما يوافق آخر كلمة فيه بعض ما فيه)() .

أما الحاتمي فسماه التصدير ، ولم يقدم له مفهوماً دقيقاً إذ حدد الكلمة التي تتردد في النصف الأول بأن تأتي في الأول أو النصف أو العجز ولم يحدد موقع الكلمة التي تتردد في النصف الثاني أترد في الجزء الأخير أم ترد في الحشو منه إذ قال : (والتصدير هو أن يبدأ الشاعر بكلمة في البيت في أوله أو في عجزه أو في النصف منه ثم يرددها في النصف الأخير فإذا نظم الشعر على هذه الصنعة تهيأ استخراج قوافيه قبل أن يطرق أسماع مستمعيه)() . ونجد نص الكلام يتكرر عند ابن وكيع() .

أما الدكتور أحمد مطلوب فقد قال : (ورد العجز على الصدر هو التصدير وسماه ابن المعتز « رد إعجاز الكلام على ما تقدمها » وتبعه في ذلك معظم البلاغيين)() .

ويذكر الدكتور أحمد مطلوب في الهامش أن العسكري أحد هؤلاء البلاغيين الذين تبعوا ابن المعتز في هذا ، ولكنه لم يذكر أن العسكري قد زاد على ابن المعتز القسم الرابع منه .

ومن الأقسام التي أضافها العسكري أيضا ما يتصل بالتجنيس :-

فالتجنيس عند العسكري هو : (أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتها في تأليف حروفها)() .

فالتجنيس منه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى لفظاً واشتقاق معنى ، ومنه ما يجانسه في تأليف الحروف دون المعنى ، ومنه ما تكون الكلمتان متجانستين إلا أن الكلمة تختلف عن الأخرى في تقديم حرف أو تأخيره ، ومنه ما تكون الكلمتان متجانستين إلا أن الكلمة تختلف عن الأخرى في زيادة حرف أو نقصانه() .

ومن هذا النص نجد العسكري قد قسم التجنيس إلى أربعة أقسام ، أما من سبقه من النقاد ، مثل ابن المعتز ، فقد ذكر القسم الأول والثاني فقط ، إذ قال في الباب الثاني من البديع وهو التجنيس

(فمنه ما تكون الكلمة تجانس أخرى في تأليف حروفها ومعناها ويشتق منه ، أو يكون تجانسها في تأليف الحروف دون المعنى)() .

ونجد الآمدي يتابع ابن المعتز في قصره للتجنيس على هذين القسمين فقط() .

أما القاضي الجرجاني فقد ذكر ثلاثة أقسام له وهي (التجنيس المطلق ، والتجنيس المستوفي ، والتجنيس الناقص ، وضمن التجنيس الناقص التجنيس المضاف)() .

ويلاحظ على أنواع التجنيس التي ذكرها القاضي الجرجاني انَّ الأول منها وهو المطلق يتفق مع القسم الأول الذي ذكره العسكري ، وما سماه بالمستوفي يتفق مع القسم الثاني ، وما سماه بالناقص يتفق مع النوع الرابع الذي ذكره العسكري ، أما النوع الثالث الذي ذكره العسكري ولم يذكره القاضي الجرجاني وهو الذي زاده العسكري على القاضي الجرجاني ومن سبقه من النقاد الذين ذكرناهم آنفاً جميعاً ، أما التجنيس المضاف الذي ذكره القاضي الجرجاني ولم يذكره العسكري فليس لنا علاقة به في هذه الدراسة .

<u>ومن الأقسام التي أضافها للظواهر القديمة ما يتصل بالاستثناء :-</u>

وهو من الأساليب الرائعة التي وقف عليها علماء البلاغة الأوائل ، وفصلوا الحديث فيه وفي أمثلته ، فهذا ابن المعتز يجعله من محاسن الكلام فقد ذكره ولكنه لم يعرفه() ، بل أورد له مثلاً قول النابغة الجعدي :-

فتى كمُلت أخلاقُه غيرَ أنَّه جوادٌ فما يُبقي من المالِ باقيا()

أما أبو علي الحاتمي (ت 388هـ) لم يكتفِ بتسمية واحدة لهذا المصطلح ، بل أطلق عليه أكثر من تسمية فسماه مرة (الاستثناء) وأخرى (تأكيد المدح بما يشبه الذم) ، ولم يعرفه أيضا بل قال في باب الاستثناء (وأحسب أن أول من بدأ به النابغة الذبياني فأحسن كلّ الإحسان في قوله :-

ولاَ عَيْبَ فيهمْ غَيْرَ أنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ من قرَاع الْكَتَائِبِ()

فهذا تأكيد للمدح بما يشبه الذم)() .

أمـا العسكري فقد تحدث عنه وسماه الاستثناء وزاد على من سبقه فيه ، إذ قال عنه : (والاستثناء على ضربين : فالضرب الأول هو أن تأتي بمعنى تريد توكيده والزيادة فيه ، فتستثني بغيـره ، فتـكون الزيـادة التي قصدتها ، والتوكيد الذي توخيته في استثنائك)() .

نحو قول أبو تمام :-

تَنَصَّلَ ربُّها من غيرِ جُرْمٍ إليك سوى النصيحةِ في الوداد()

أما الضرب الثاني فهو (استقصاء المعنى والتحرز من دخول النقصان فيه)() .

نحو قول طرفة بن العبد :-

فسقَى ديارِكِ غَيْرَ مُفْسدها صوْب الربيع وديمةٌ تَهْمى()

وحـديث العسكــري عـن ضربي الاستثناء يقترن في الحقيقة بوظيفة كل ضرب منهما فالضرب الأول يفيد التوكيد ، أمــا الثاني منه فيفيـد الاحتــراز من الوقوع في الخطأ .

وقـد أشــار بعـض النقـاد ومنهم الجاحـظ إلــى هـذا وأسمــاه الاحتـراس في حديثــه على بيت طرفة السابق إذ قال : (طلب الغيث على قدر الحاجة ، لأن الفاضل ضار ...)() .

و نجــد هــذا المصطلح – الاحتراس- أكثــر وضوحنــا عنــد المــرزبــاني (ت 384هـ) إذ ذكره بصيغة الفعلية وليس بالإشارة في قوله في المفاضلة التي عقدها بين أقوال كل من الشعراء طرفــة بن العبد و عنترة بن شداد وحسان بن ثابت إذ قال (فلهذا كان قول طرفة أجود ، وقول عنترة أحسن ، لأنه احترس من عيب الإعطاء على السكر ...) () .

<u>ومن الظواهر التي أضافها العسكري ما يتصل بحديثه عن الخاتمة :-</u>

اكتفى النقاد الذين سبقوا العسكري بالإشارة إليها ، فهذا ابن طباطبا الذي رأى أنه (يجب أن تكون القصيدة كلهــا ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها ، نسجاً وحسناً ، وفصاحة وجزالة ألفاظ ودقة معانٍ ، وصواب تأليف)() .

ومن نص ابن طباطبا هناك إشارة واضحة إلى الخاتمة بقوله (آخرها) ، بوصفها أحد العناصر التي تحقق البناء الصحيح داخل النص ، وهذا يحدث بتناسبها وتلاحمها مع باقي أجزاء النص .

أمـا القاضي الجرجاني فقد حدد طريقاً للشاعر يجب الالتزام به إذ عليه (أن يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة)() .

ومن هذه النص يرى القاضي أن هذه المواقف هي التي تساعد الشاعر أو الكاتب في جلب انتباه المتلقي واستعطافهم بقوله (فإنها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور ، وتستميلهم إلى الإصغاء ، ولم تكن الأوائل تخصها بفضل مراعاة ، وقد احتذى البحتري على مثالهم إلا في الاستهلال ، فإنه عُني به فاتفقت له فيه محـاسن ، فأما أبــو تمام والمتنبي فقد ذهبا في التخلص كل مذهب واهتما به كـل اهتمام ، واتفق للمتنبي فيه خاصة ما بلغ المراد وأحسن وزاد)() .

وقد أوصى القاضي الجرجاني أن على الشاعر إن يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص والخاتمة ، لما لها من قدرة في التأثير على المتلقي وجذبه إلى موضوع الكلام ، ثمَّ قارن بين عناية الأوائل بهذه العناصر في القصيدة وعناية المحدثين ، وذكر أن المحدثين تفوقوا على الشعراء القدامى في ذلك أمثال أبي تمام والمتنبي .

أما العسكري فقد توسع في الحديث عن الخاتمة ، إذ ألزم الشاعر أن تكون خاتمة قصيدته أدخــل في المعنى ، وأن تشتمل على الغرض الذي نظم القصيدة من أجله ، وذلك في حديثه الذي توجّه به إلى الشاعر إذ قال (ينبغي أن يكون آخر بيت في قصيدتك أجود بيت فيها ، وأدخل في المعنى الذي قصدت له في نظمها)() .

نحو قول ابن الزبعري في آخر قصيدة يعتذر فيها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويستعطفه بقوله :-

فخذ الفضيلة عن ذنوب قد خلتْ واقبل تضرع مستضيف تائبِ()

فقد جمع في هذا البيت جميع ما يحتاج إليه في طلب العفو .

ولــم يكتــفِ العسكري بأن تشتمل الخاتمة على موضوع القصيدة بشكل مختصر ، بل أشار إلى طرائق الشعراء والكتاب الحذاق في عمل الخاتمة ، وذلك بأن تشتمل على مثل سائر أو تشبيه مليح على نحو ما قال بشر بن أبي خازم في أخر قصيدته :-

ولا يُنجي من الغمرات إلا بَرَاكاء القتال أو الفِرار

فقد وضع مثلاً سائراً ، والأمثال أحب إلى النفوس لحاجتها إليها عند المحاضرة والمجالسة().

ولم يبقَ الحديث عن الخاتمة بعد أن تناولها هؤلاء النقاد ولا سيَّما بعد ما أضاف إليها العسكري هذه الإضافات كما هو ، بل أصبح محل عناية النقاد واهتمامهم ، ومن هؤلاء النقاد أسامة بن منقذ ، وابن أبي الإصبع المصري وكل أصحاب البديعيات() .

<u>ومن إضافات العسكري محاولته وضع حدود فاصلة بين الظواهر المتقاربة:-</u>

لقـد كانت عناية العسكري بالتقسيم عالية إذ جعل كل ظاهرة في باب يستقل بها ، على نحـو تقسيمه في تفريقه بين السجع والازدواج والترصيع ، إذ جعل الأول يختص بالنثر ، والثاني يختص بالشعر .

إلا أننا نلحظ أن قدامة بن جعفر قد سبقه إلى جعل الترصيع خاصاً بالشعر() ، إلا أنه لم يذكر السجع والازدواج ويفرق بينه وبين الترصيع كما فعل العسكري إذ يكون هذا ظاهراً في قوله (ولا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجاً)() .

وقال في موضع آخر (وقد أعجب العرب السجع حتى استعملوه في منظوم كلامهم ، وصار ذلك الجنس مـن الكـلام منظومـاً فـي منظوم ، وسجعاً في سجع ، نحو قول أمرئ القيس :-

سليمُ الشظى عَبلِ الشَّوى شَنجِ النَّسا له حجباتٌ مُشرفات على الفال()

وقوله :-

فَتُورُ القيامِ قطيعُ الكلامِ يَفْتَرُّ عّنْ ذي غُروب خَصِرْ()

وسمى أهل الصنعة هذا النوع من الشعر المرصع)() .

كمـــا عقـد للترصيع باباً خاصاً به وعرفه بقوله : (وهو أن يكون حشو البيت مسجوعاً ، وأصله من قولهم : رصعت العقد ، إذا فصلته)() .

نلاحظ ان العسكري كان يميل إلى تحديد الظواهر وفصل كل ظاهرة واستقلالها عن الأخرى ، وفي بعض الأحيان نجد العسكري يبالغ في هذا الأمر فقد كرر العسكري بعض الفصول التي ذكرها النقاد من قبله نحو (الاستطراد والخروج والطباق والسلب والإيجاب ، والعطف وغيرها).

وإننا نجد أن النقاد القدامى يجمعون بين السلب والإيجاب ويجعلونها ضرباً من أضرب الطباق ، إلا أنه يعقد لهما فصلاً مستقلاً عن الطباق وغيرها من الظواهر والفصول.

الظواهر التي قال عنها أنها من مستخرجاته هي :-

1. التشطير :-

وقد عرفها العسكري بقوله : (وهو أن يتوازن المصراعان والجزآن ، وتتعادل أقسامها مع قيام كل واحد منهما بنفسه ، واستغنائه عن صاحبه)() . نحو قولهم : (من عتب على الزمان طالت معتبته ، ومن رضى عن الزمان طابت معيشته) وقول آخر : (رأس المدارة ترك المماراة) فالجزآن من هذه الفصول متوازنا الألفاظ والأبنية() .

2. المجاورة :

لقد عرف العسكري المجاورة بقوله : (تردد لفظتين في البيت ، ووقوع كل واحد منهما بجنب الأخرى أو قريباً منها ، من غير أن تكون إحداهما لغواً لا يحتاج إليها)() ، نحو قوله علقمة :-

ومطعم الغُنْمِ يوم الغُنم مُطْعِمُه أنَّي توجَّه والمحروم محرومُ()

فقوله (الغُنم يوم الغنم) مجاورة ، و (المحروم محروم) مثله() .

3. الاستشهاد والاحتجاج :-

وهذا الصنف كما يقول العسكري كثير في كلام القدماء والمحدثين ، وهو أحسن ما يتعاطى من أجناس صنعة الشعر ، ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى ، وهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول ، والحجة على صحته() .

نحو قول أبي تمام :-

فاضمُمْ قواصيهم إليك فـإنه لا يزخَر الوادي بغير شِعابِ

والسهم بالريش اللُّوءامِ ولنْ تَرى بيتاً بلا عُمُدٍ ولا أطنابِ()

4. المضاعفة :-

يقول العسكري عنها : (هو أن يتضمن الكلام معنيين : معنى مصَرّح به ، ومعنى كالمشار إليه)() ، نحو قوله تعالى : (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ـِّ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ) () .

ويعلق على هذه الآيات بقوله : (فالمعنى المصرح به في هذا الكلام أنه لا يقدر أن يهدي من عَمِيَ عن الآيات ، وصَمّ عن الكَلِم البينات ، بمعنى أنه صرَف قَلبه عنها فلم ينتفع بسماعها ورؤيتها ، والمعنى المشار إليه أنه فَضَّل السمع على البصر ، لأنه جعل مع الصمم فقدان العقل ، ومع العمى فقدان النظر فقط)() .

ويضيف العسكري إلى هذا الباب نوعاً آخر بقوله : (وهو أن تورد الاسم الواحد على وجهين وتضمنه معنيين كل واحد منهما معنى)() ، نحو قولهم :-

أَفْدِي الّذِي زارني والسيف يَخْفُرُه ولحظ عينيه أمْضَى من مَضارَبه

فما خلعت نجادي في العناقِ له حتى لبست نجاداً من ذوائبه()

فقد جعل في السيف معنيين أحدهما أن يخفره ، والآخر أن لحظه أمضى من مضاربه() .

وضرب منه آخر نحو قول أبن الرومي :-

بجهلِ كجهل السَّيْفِ والسيف مُنْتَضًي وحلم كحلم السيفِ والسَّيْف مُغْمَدُ()

5. التطريز :-

لقد عرفه العسكري بقوله : (هو أن يقع في أبيات متوالية من القصيدة كلمات متساوية في الوزن ، فيكون فيها كالطراز في الثوب وهذا قليل في الشعر)() .

وأحسن ما جاء فيه قول أحمد بن أبي طاهر الكاتب :-

إذا أبو قاسمٍ جادتْ لَناَ يدُه لم يُحْمَد الأجودان : البَحْرُ والمطر

وإن أضاءتْ لنا أنوارُ غُرته تضاءل الأنوران : الشمس والقمرُ()

فالتطريز في قوله : (الأجودان) ، و (الأنوران) .

6. التلطف :-

لقد قال العسكري عنه : (هو أن تتلطف للمعنى الحسن حتى تهجّنه ، والمعنى الهجين حتى تحسنه)() .

ويصرح العسكري بان هذا الصنف لم يسمع به عند من سبقه من النقاد ، ولم يكن باباً من أبواب الصنعة ، أي أن هذا الصنف من أبتكاراته الذاتية ولم يتطرق له أحد من قريب أو بعيد وليس له شبيه بين أبواب الصنعة . نحو قول الحطيئة في قوم كانوا يلقبون بأنف الناقة فيأنفون فقال فيهم :-

قَوْمٌ همُ الأنفُ والأذنابُ غيرُهم ومَنْ يُسَوِّي بأنفِ الناقة الذنبا()

فكانوا بعد ذلك يتبجحون بهذا البيت() .

7. المشتق :-

وتحدث العسكري عن هذا الصنف وجعله على وجهين هما :-

وجه منهما أن يشتق اللفظ من اللفظ ، نحو قول الشاعر :

وكيف ينجح مَنْ نصف أسمه خاَبا

والوجه الثاني أن يشتق المعنى من اللفظ ، نحو قول أبي العتاهية :-

حُلِقتُ لِحية مُوسى باسمه وبهارون إذا ما قُلِبا()

8 . التخييل .

لقد عرفه العسكري بقوله : (وهو أن يُخيَّل أنه يمدح ، وهو يهجو ، أو يُخيَّل أنه يهجو وهو يمدح)() . ويستشهد على هذا النوع بالخبر الذي ينقله الأصمعي إذ قال : (كانت عند رجل من بني أسد بنت ورهاء ، فدخل يوماً وهي متغضبة ، فقال : ما شأنك ؟ قالت : إنك لا تشبب بي ! فقال : أفعل ، ثم أنشد يقول :-

تمت عبيدة إلا فـي مـلاحتها والحُسنُ منها بحيث الشمسُ والقمرُ

ما خالف الظبْيُ منها حين يُبْصرُها إلا سوالفـه والجيـد والنــظر

قل للذي عابها من عائب حنقٍ أقصر فرأس الذي قد عِبتَ والحجرُ

قال : فرضيت)() .

في الختام نقول إن هذه الإضافات أو المستخرجات التي أضافها أو أستخرجها العسكري ، لها أثر كبير عند من تلا العسكري من النقاد ، فمعظم هذه المستخرجات أو الإضافات كانت لها عناية

واهتمام كبير ممن جاء بعده من النقاد الذين اتفق بعضهم مع العسكري في هذه المصطلحات ومفاهيمها ومنهم من وافق المصطلح وخالف المفهوم ومنهم العكس من ذلك .

وهكذا فتح العسكري أبواباً كثيرة لمن تلاه من النقاد في التوسع بهذه المصطلحات فقد أضاف إليها من أضاف في صنف أو قسم ، ومنهم منْ وافقه في كل شيء في ضروبها وأقسامها ، ولهذا فان ما قدمه العسكري في هذه الظواهر أصبح حقلاً خصباً للنقاش والتحليل لمن جاء بعده .

الخاتمة :-

في ختام هذا البحث نجد ان أبا هلال العسكري قد أضاف بعض الأقسام أو الضروب إلى الظواهر البلاغية ، وهذه الإضافات جميعها كانت من المبتكرات الجديدة للعسكري فجميع هذه الإضافات لم يتطرق أحد من النقاد الذين سبقوه إليها ، وأني تابعت معجم المصطلحات البلاغية ، ومعجم مصطلحات النقد القديم للدكتور أحمد مطلوب فلم أجد الدكتور يشير إلى هذه الإضافات من قريب أو بعيد ، كما أني وجدت الدكتور أحمد مطلوب يفسر قول الجاحظ في مصطلح الإشارة ويقول عنها أنها لا علاقة لها بالمعنى البلاغي وهذا استنتاج غير دقيق ، كون البلاغة تكون في السكوت أو في الإشارة حسب ما أشار إلى ذلك ابن المقفع في تعريفها .

كما أن إضافة العسكري للقسم الرابع في مصطلح رد الإعجاز على الصدور ، وقول الدكتور أحمد مطلوب بان العسكري تابع أبن المعتز في هذا المصطلح ، إلا أن أبن المعتز لم يذكر هذا القسم في حديثه عن هذا المصطلح فقد جعله ثلاثة أقسام بينما العسكري جعله أربعة أقسام .

كما أن هذه الإضافات التي أضافها العسكري أصبحت حقلاً خصبا للنقاد الذين أتوا من بعده في النقاش والتحليل والاستنتاج .

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم .

1. البديع عبد الله بن المعتز (ت 296هـ) ، شرحه وعلّق عليه : محمد عبد المنعم الخفاجي ، شركة ومطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده بمصر ، 1954م .

2. البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقذ ، تحقيق أحمد أحمد بدوي ، و حامد عبد المجيد ، مصطفى البابي الحلبي ، مصر 1380هـ .

3. البيــان والتبيين ، أبو عثمـان عمر بن بحر الجاحظ (255هـ) ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهر ة ، الطبعة السابعة 1998م .

4. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، عبد العظيم أبن أبي الإصبع ، تحقيق حفني محمد شرف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية 1963م .

5. حسن التوسل إلى صناعة الترسل ، شهاب الدين أبي الثناء محمود بن سليمان الحلبي ، طبع على نفقة أمين أفندي ، بمصر 1315هـ .

6. حلية المحاضرة في صناعة الشعر أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي ، تحقيق جعفر الكتاني ، دار الرشيد بالعراق ، 1979م .
7. خزانة الأدب وغاية الأرب تقي الدين أبو بكر بن علي بن حجة الحموي ، تحقيق عصام شعيتو ، منشورات مكتبة الهلال ، بيروت ، الطبعة الأولى 1987م .
8. ديوان ابن الرومي ، شرح الأستاذ أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثالثة 2002م .
9. ديوان أبي العتاهية ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت 1986م .
10. ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت (246هـ) ، دراسة وتبويب الدكتور مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى 1993م .
11. ديوان النابغة الجعدي تحقيق عبد العزيز رباح ، دمشق 1384هـ .
12. ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق كرم البستاني ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت ، 1963م .
13. ديوان إمرئ القيس ضبطه وصححه الأستاذ مصطفى عبد الشافي ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان الطبعة الخامسة 2004م .
14. ديوان ذي الرمة قدم له وشرحه أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، 1995م .
15. ديوان طرفة بن العبد شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة الثالثة 2002م .
16. شرح ديوان أبي تمام ، للخطيب التبريزي ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه راجي الأسمر ، دار الكتاب العربي ،بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية 1994م .
17. شرح ديوان علقمة بن عبدة الأعلم الشنتمري ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه الدكتور حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى 1993م .
18. عيار الشعر ، محمد بن أحمد ابن طباطبا العلوي ، تحقيق محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف – مصر الإسكندرية 1984م .

19. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، تصنيف أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت 395هـ) ، تحقيق على محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ، الطبعة الأولى 1952م .
20. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها للدكتور احمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي 1983م .
21. المنصف في نقد الشعر وبيان سرقات المتنبي ومشكل شعره ، أبو محمد الحسن بن علي لابن وكيع ، قرأه وعلق عليه محمد رضوان الداية ، دار قتيبة (د.ت) .
22. الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري لأبي القاسم الحسن بن بشر الأمدي (ت 370هـ) ، دراسة وتحقيق الدكتور عبد الله حمد محارب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة الأولى 1990م .
23. الموشح مأخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر ، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني (384هـ) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، نهضة مصر للطباعة والنشر (د.ت) .
24. نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر (327هـ) ، تحقيق وتعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .
25. الوساطة بين المتنبي وخصومه ، للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت الطبعة الأولى 2006م .